وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها
لان اليوم يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب كانت في هذه الايام كلها ويطلق عليها
يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع على ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم
عند المسلمين والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقيل القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع
الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها
عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وحج
الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسيء وجميع احكام الجاهلية
وقيل الحج الاكبر اجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقوله تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله فيه حذف والتقدير
واذان من الله ورسوله بان الله بريء من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتدا وخبره مضمر والتقدير ان الله بريء من المشركين ورسوله ايضا بريء الثاني تقديره بريء الله
ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول فان
قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بريء من
المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت المقصود من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية
الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال
في اوله براءة من الله ورسوله الى يعني بريء اليهم ومن الثانية بريء منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم
عن شرككم وكفركم فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك
الموجب لدخول النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة عن الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد
عظيم واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم يعني في
الاخرة ولفظ البشارة هنا انما وردت على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى الا الذين
عاهدتم من المشركين هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من
مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودهم التي
عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثناء
بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوى بين الفريقين
يعني الموفي بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر
الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت بذلك حرما لحرمة
نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما
وقيل انما قيل لها حرم على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة
هي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر

والمؤمنين

من

من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم
وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم اي واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم
من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني كل طريق والمرصد
الموضع الذي يقعد فيه للعدو ومنه رصدت الشيء ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم
من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى
الايمان واقاموا الصلاة يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم
يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع من المشركين الى الايمان ومن المعصية
الى الطاعة رحيم يعني باوليائه واهل طاعته قال الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض
عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله
عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك
ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه
فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيامة كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله
ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد
قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا لهم
يعني على ما اقاموا على العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر
يختاروا لامرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا قبل الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من
قال انهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش
يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة
وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك بعد فتح مكة لانه
بعد الفتح كيف يكون لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله فيهم الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على
خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني ان الله تعالى يحب الذين
يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى
تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم
وهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه
لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل حلفا وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال
الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد ولاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا كلام لم يخرج

Copyright © King Saud University